

التفسير المختصر - سورة يوسف (١٢) - الدرس (٢٤-٠٨) : تفسير الآيات ٣٥ - ٣٠  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-١١-٧

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزردنَا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الأخوة الكرام، سيدنا يوسف لما افتصح أمر امرأة العزيز، أرادت أن تُبرر سلوكيها أمام صديقاتها، قال تعالى:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَّفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)

[سورة يوسف]

أي ارتكبت حماقة كبيرة، ثم قال تعالى:

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَاتَ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُنْ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١)

[سورة يوسف]

ومعنى قطعن أيديهن أي جرحتنا أيديهن من شدة الشغف، فربما أعطتهن سكاكين حادة، فأثناء استعمال السكين دهشنا بهذا الجمال فقطعن أيديهن، ثم قال تعالى:

﴿وَقُنْ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) قالت فذلنَ الذى لمتنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم

[سورة يوسف]

أليست هذه شهادة قطعية الدلالة من امرأة العزيز أنه لم يهم بها كما توهم الناس، قال تعالى: ولقد راودته عن الصاغرين " معنى ذلك أنه كان أمام خيارين إما أن يسجن وإما أن يقترب الفاحشة؛ وهذا هو موقف النبي الكريم، وموقف كل مؤمن يقدي بأنباء الله الصالحين قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيِّي مَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

[سورة يوسف]

أحياناً يُغرى المؤمن بِمَالٍ وفيه من طريق حرام، فهل يقول: ربِّ الفقير أحبُّ إلَيْيَ من هذا المبلغ الحرام؟ وأحياناً يدفعُ الإنسان ثمن طاعته لِلله؛ حرمان من وظيفة وحرمان من شراكة وحرمان من دخل كبير؛ هذا حال المؤمن، العلم حرف والتكرار ألف، ماذا قال سيدنا يوسف؟

**﴿قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾**

لو أَنَّهُ استجاب لما سُجن، إضافةً إلى قضاء الشهوة والاستمتاع؛ هذا حال المؤمن:  
**﴿فَلَيْكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيَّةٌ وَلَيْكَ تَرْضَى وَالآنَامُ غِضَابٌ  
 وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنِكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمَيْنِ خَرَابٌ  
 إِذَا صَحَّ مِنْكَ الْوَصْلُ فَالْكُلُّ هَيْنَ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابٌ﴾**

\*\*\*

أيها الأخوة، هناك حديث أَنَا أَعْتَدْهُ شعار كُلُّ مُسْلِمٍ:

**﴿(مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاِهِ)﴾**

دقةُ الحديث أَنَّ عَبْدًا من عباد الله الصالحين عُرضَ له شيءٌ من مَنَاع الدُّنيا إِلَّا أَنَّهُ حرام فقال:

**﴿مَعَاذُ اللَّهِ﴾**

ربُّ الحرمان من هذا المبلغ أَحَبُّ إِلَيْهِ من أنْ أَعْصِيَكَ طَيْبٌ.

**﴿(مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ)﴾**

وصدقوا أيها الأخوة أَنَّ زوالَ الكونَ أَهْوَنَ على الله من أَنْ يُؤثِّرَ عَبْدًا طاعةَ الله ثُمَّ يَحْرِمُهُ الدُّنيا إِلَّا عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، كيف؟ قال: في دينِهِ وَدُنْيَاِهِ، ففي دينِهِ ما دام قال:

**﴿مَعَاذُ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾**

وقال:

**﴿رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾**

وأَنِّي لن أَفْعُلَ هَذَا وَلَوْ بَقِيتُ مَحْرُومًا أَصْبَحَ الطَّرِيقُ إِلَى الله تَعَالَى سَالِكًا، أَمَا إِذَا افْتَرَفَ الْمَعْصِيَةُ أَصْبَحَ الطَّرِيقُ إِلَى الله تَعَالَى مَقْطُوعًا، إِذَا افْتَرَفَ الشَّهْوَةُ كَانَ الطَّرِيقُ مَقْطُوعًا، وَإِذَا قَبَضَ الْمَبْلَغَ كَانَ الطَّرِيقُ مَقْطُوعًا، وَإِذَا كَذَبَ وَرَبَحَ كَانَ الطَّرِيقُ مَقْطُوعًا، وَكَذَا إِذَا اغْتَصَبَ مَحَلًا وَأَثَرَ هَذَا الْمَحَلَّ عَلَى الطَّاعَةِ اللَّهِ؛ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى إِلَّا عَوْضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ فِي دِينِهِ، طَيْبٌ وَدُنْيَاِهِ؟ تأتيهُ الدُّنيا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَلَكِنْ مِنْ طَرِيقِ حَلَالٍ.

رجلٌ أَمِيٌّ لَهُ شَيْخٌ، وَأَعْطَاهُ أَرْضًا كَبِيرَةً، وَقَدْ كَانَ قَبْلَهَا فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، فَقَالَ هَذَا الْفَقِيرُ لِلشَّيْخِ: لَقَدْ أَعْطَوْنَا أَرْضًا يَا شَيْخٌ، فَقَالَ الشَّيْخُ: هَذِهِ أَرْضٌ مُغْتَصَبَةٌ! وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَحَرَامٌ أَخْذُهَا، فَذَهَبَ هَذَا الْأَخْرَجُ يَبْحَثُ عَنْ صَاحِبِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَسْمَحُ لِي أَنْ أُعْطِيَكَ أَسَاوِرَ زَوْجِي وَأَشْتُرِي عَلَيْكَ الْبَيْتَ بِالْتَّقْسِيَّةِ؟ فَقَالَ صَاحِبُهُ: لَقَدْ ذَهَبَ عَلَيَّ أَرْبَعَةُ أَصْعَافٍ مَا أَخْذُتُ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْتَ، وَعَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ هَدِيَّةٌ مِنِّي لَكَ!! مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا عَوْضَهُ اللَّهُ.

وأحد الشباب قديماً، كان في محله فجاءت إليه فتاة ودعنته للرِّزْنَةِ، فأغلقَ المحلَ وتبعها، وهو في الطريق تذكر إلى أين سيذهب فرجع واستغفر الله، ففي اليوم الثاني جاءه أحد كبار تجار الزيت، وعرض عليه ابنته ! أكرم من أجل تركِه الحرام، حق على الله إذا تركت الدنيا أن يكرمك الله تعالى :

((ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.))

دقة الآية:

**﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)**

[سورة يوسف]

هذا شعار كُلِّ مؤمن، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الطائف ؟

((إن لم يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي، ولك العتبى حتى ترضى، لكنَّ عافيتك أوسعُ لي.))

أجمل شيء في الآية العبودية لله تعالى، لم يقل: أنا إرادتي قوية، وأنا سيد نفسي ! هذا شرك، أحياها تجد إنساناً شخصية في البلد، وله زوجة ملكة جمال، فإذا به يتعلق بأمرأة مثل الممسحة !! فسيدنا يوسف انتبه لهذه النقطة قال تعالى:

**﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)**

[سورة يوسف]

يا رب أنا مستقيم بمعونتك، وعفيف بمعونتك، وهذا ملخص إياك نعبد وإياك نستعين، أحد العلماء ألف كتاباً يحوي مجلدين اسمه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، قال تعالى:

**﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزُنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧)**

[سورة النحل]

صبرك بالله، وعفتك بالله، وورعك طاعتكم بالله، وهذا هو معنى لا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بالله، لا حول عن معصيَّة الله إِلَّا بالله، ولا قوَّةَ على طاعة إِلَّا به، فإذا وفق الله عبده للصلوات الخمس في المسجد بهذه من نعم الله، إذ هناك من يغازل النساء بالبيع والشراء والصلوات تمر عليه مرور الكرام، فإذا سمح لك الله تعالى بغض البصر، وبزوجة صالحة ومال حلال، فلا تَعْزُز الطاعة لك ؛ هذا شرك، قُل: يا رب سمحْت لي أن أطيعك، وأن أفترن بزوجة صالحة، وأولاد أُبرار.

قال تعالى:

**﴿وَإِلَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّافَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٤)**

[سورة يوسف]

أي سمِيع لقوله، علِيم بِقَلْبِهِ وَحَالِهِ وَصِدْقِهِ، وَالله عز وجل سمِيع علِيم أنتَ دُعْوا الله وإن كان دُعاؤكَ وِفْقَ السُّنَّةِ سترِي الإجابة إن شاء الله قال عليه الصلاة والسلام: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

(( يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ))

[رواہ البخاری]

ناجي ربک وسلّه وادعوه وترجاهم، وتذلل بين يديه؛ هذا هو المؤمن الإلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبی، كلمتين: قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

[سورة يوسف]

قال تعالى:

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينَ (٣٥)﴾

[سورة يوسف]

رأوا الآيات الدالة على براعته وعفته وطهارته، أرادوا أن يطفئوا الفتنة فوضّعوه بالسجن.

والحمد لله رب العالمين